

البناء الفکری فی القرآن الکریم اهمیتہ و اُسس بنائہ

حسین علی السلطانی^۱

خلاصه المقال:

یدورالحديث فی هذا المقال حول البناء الفکری و ضرورته فی حياة الانسان، و قد تبين خلال البحث، ان القرآن الکریم قد اولی هذا الموضوع اهتماماً كبيراً و عنايةً خاصة، حيث اكد علی ضرورته فی اكثرمن نص، وعالجه علی اكثرمن صعيد، و اعتبره المقوم الاساسی لبناء شخصية الانسان، و اداء دوره فی الحياة، ففي ظلّ الفکرالصحيح، و العقيدة الصالحة، يصل الانسان الى اعلى مراتب الكمال، و ادنى درجات القرب، و لم یكتف القرآن الکریم بذكر أهمیة هذا الموضوع فحسب، بل تعرض الى بيان اهم الاسس التي يجب ان یبنى علیها الفکر، و هی: الفطرة، و العلم. فالفکر الصحيح وفق الرؤیة القرآنیة، هو ما كان منسجماً مع مقتضیات الفطرة الانسانیة و احكامها اولاً، و مبتنیاً علی اسس علمیة و معطیات واقعیة، ثانیاً، و علیه تركّز البحث فی هذا المقال علی مطلبین اساسیین، هما: أهمیة البناء الفکری فی القرآن الکریم و اسس البناء الفکری فی القرآن الکریم

اهم المصطلحات:

الفکر، الفکر الاسلامی، القرآن، الفطرة، المعرفة الفطریة، العلم، اقامة الحجة، الاتباع و التقليد.

بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

يعتبرالفكر، المقومّ الاساسى لشخصيّة الانسان، والمائز الحقيقى له عن الكائنات

الاخرى، فلا يمكن للانسان ان يحقق اهدافه ويؤدّي دوره فى الحياة بنجاح مالم يستند على فكر يهتدى به، ويستنير بضوئه، فالانسان من خلال الفكر تتكون له رؤية عن الحياة و مآلها، وعن الكون و اهدافه، و القوى الفاعلة فيه ، و العلاقات الحاكمة عليه ، وبه يكتشف الانسان نفسه و طاقاتها، و اهدافه و ابعادها، و دوره و منزلته فى هذا الوجود، انه ببساطة: البوصلة التى توجه مسيرة الانسان، و الاتجاه الذى يرسم له معالم الطريق، و الدليل الذى يحدد له ادوات رحلته نحو اهدافه و غاياته المرحلية و النهائية ، فكما ان للملاحين الذين يعبرون محيطات الماء دليلاً يحدد مقاصدهم، و سفناً تحملهم ، و خرائط و بوصلات تحدّد مساراتهم ، و مقاييس يقيسون بها المسافات، و اعماق المحيطات ، و تقلّب الاجواء و الانواء ، كذلك الانسان الذى يريد ان يعبر محيط الحياة الشائك ، و الملى بالعقبات ، لا بد ان يكون له فكر، يستنير به ، و رؤية يهتدى بها (الكيلانى ، ١٤٢٣، ٥) ، و لا بد ان يكون هذا الفكر مبتنياً على اسس علمية ، و معطيات واقعية حتى يجتاز مرحلة العبور بنجاح ، و يصل الى شاطئ الامان بسلام ، و لذا يقول العلامة الطباطبائى (قده) : (مما لا نرتاب فيه ان الحياة الانسانية حياة فكرية لاتتم له الا بالادراك الذى نسمية فكراً و كان من لوازم ابتناء الحياة على الفكر، انّ الفكر كلما كان اصح و اتم كانت الحياة اقوم ، فالحياة القيّمة – بأية سنةٍ من السنن اخذ الانسان و فى اى طريق من الطرق السلوكة و غير السلوكة سلك – ترتبط بالفكر القيم و تبتنى عليه و بقدر حظها منه يكون حظها من الاستقامة) (الطباطبائى ، ١٤١٢ ، ٢٥٤/٥) و الانسان من دون الفكر ، يكون صيرورة تائهة ، لا يستند فى مسيرته على دليل ، ولا يهتدى الى صواب ، و بالتالى يكون تحركه فى الحياة تحركاً عشوائياً ، مثله كريحته فى مهب الريح ، تتفعل بالعوامل من حولها و لا تؤثر فيها (الصدر، ١٤١٠، ٧٠٧) ، و من هنا جاءت تعاليم السماء لتنتقد الانسان من حيرته و تهديه الى ما فيه صلاحه و سعاده و ذلك عن طريق بناء

بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

لهداية الانسان ، يسعى الى افهامه بمصالحة المادية و المعنوية عن طريق الفكر لان الانسان كائن مفكر، اى انه يعمل بفكر ويعيش بفكر، و اذا اصابه نفع ، او ضرر ، فأنما عن طريق افكاره) (جوادى آملی ، ۱۴۱۵ ، ۹۰)

وقضية الفكر و اهميته فى حياة الانسان قضية لاختلاف حولها ، انما الاختلاف يدور حول المبادئ التى يجب ان يبنى عليها الفكر، فكل اتجاه فكرى يجد ان مبادئه هى التى تجلب السعادة للانسان ، و تلبى آماله ، و تحقق طموحاته ، و القران الكريم تعرض الى هذا الموضوع الحساس و عالجه بجميع جوانبه ، بأدلةٍ نحسبها فى غاية الدقة و الاتقان ، وفى هذا البحث نسعى الى بيان اهمية و اساس البناء الفكرى فى القران فحسب ، املين مواصلة البحث فى هذا الموضوع فى اعداد لاحقة انشاء الله تعالى .

المطلب الاول : تعريف الفكر، و اهميته فى القران الكريم

اولاً : تعريف الفكر

١ : لغةً

الفكر هو اعمال الخاطر فى الشئ ، او هو التأمل و اشغال العقل فى ماهية الاشياء المعنوية و الحسية للوصول الى الحقيقة اليقينية كما جاء فى لسان العرب (ابن منظور، ۱۴۰۸، ۱۰/۳۷۰) و قال الراغب الاصفهاني : الفكرة قوة مطرقةٌ للعلم الى المعلوم ، و التفكير جولان تلك القوة بحسب نظر العقل ، و ذلك للانسان دون الحيوان ، و لا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صورة فى القلب ، و لهذا روى (تفكروا فى الاء الله و لاتتفكروا فى الله) اذ كان الله منزهاً ان يوصف بصورة (الاصفهانى ، ۱۴۳۰ ، ۵۰۶) ، قال تعالى : (كَذَلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة: ۲۱۹)

عرف الفكر: اصطلاحاً – بتعاريف متعددة، منها:

قال الشيخ المظفر: النظر – الفكر – هو اجراء عملية عقلية فى المعلومات الحاضرة لاجل الوصول الى المطلوب ، و بتعبير اخر: ان الفكر هو حركة عقلية بين المعلوم و المجهول. (المظفر، ٢٣، ١٤٠٠)

وقال العلامة الطباطبائى: الفكر هو سير ومرور على المعلومات الموجودة الحاضرة لتحصيل ما يلازمها من المجهولات (الطباطبائى، ٢، ١٤١٢/٢٤٨). وهذان التعريفان اقرب الى التعريف اللغوى منهما الى التعريف الاصطلاحى .

و قال الدكتور طه جابر العلوانى: (الفكر هو عبارة عن حركة الذهن و جولانه ، فيما هياه (النظر) من المقدمات المدركة، حسيّة كانت ام شرعيّة، ام ، ام عرقيّة، ام لغويّة، لتحصل من خلال ذلك على معقول او مدرك لا تجده بذاته بارزاً او ظاهراً فى اية مقدمة من تلك المقدمات، لكن تولد عن تلك الجولات الذهنية التى اطلق عليها (الفكر)، و هذا الفكر هو قوام (ناطقية الانسان) وهى اهم مظاهر و خواص انسانيته، و هى القوة القادرة على الاجابات السليمة عن سائر الاسئلة التى تواجه الانسان، مثل (لماذا، بماذا، و على ماذا، و كيف كان، و الى اين يكون) و عليها تقوم اول مصارحة، الا و هى معرفته لذاته، ثم معرفته لربه، و بالفكر يرتبط العاقل بين النص و دلالته، و المرئى و المحسوس، وما يعقل عن ربه، و يرجع الجزئى الى الكلى، و الكثرة الى الوحدة، و يصل الانسان المادة بما وراءها، و يدرك تناسب المتناسبات، و تناقض المتناقضات، و بالفكر، يفرق الانسان بين المطلق و النسبى، و بين الخالق و الخلق، و يدرك الفوارق بينهما، فيفرق بين وجود العالم ووجود صانعه – اى بين الوجود الممكن المستند الى سواه والوجود الواجب المستند اليه كل ما عداه (العلوانى، ١٠٢، ١٤٢٥)

و بهذا يمكن القول: ان الفكر هو مجموعة الرؤى و الاحكام التى يصدرها عقل الانسان

لتفسير الواقع من وجهة نظر معينة ، ليقف من خلالها على تحديد المنهج الذى يسير عليه فى الحياة ، و يؤدى دوره فيها بنجاح

امّا تعريف الفكر الاسلامى: (فهو مجموعة العلوم و المعارف القائمة على اسس و موازين اسلامية) (لجنة التأليف ، ١٤٠٧ ، ١٧/١) و بتعبير اخر: انه مجموعة الرؤى و الاحكام، و المعارف، و القيم الاخلاقية، التى تفسر الوجود و حقيقته و منشأه، و القوى المؤثرة فيه، و العلاقات الحاكمة عليه، و تبين حقيقة الانسان و دوره و مكانته و منزلته فى هذا الوجود، و تضع له مناهج عمله و اساليب سلوكه، و بالتالى تضع امامه كل ما يساهم فى تحقيق اهدافه و غاياته من عدمها، سواء فى الدنيا او الآخرة، طبقاً لمبادئ الاسلام و موازين الشريعة الاسلامية، و بهذا يتضح ان الفكر الاسلامى - على اطلاقه - يشمل الاصول النظرية و العملية للدين الاسلامى. لكننا هنا سنتحدث عن الاطار النظرى فحسب.

ثانياً: اهمية الفكر فى القرآن الكريم

اهتم القرآن الكريم فى موضوع الفكر اهتماماً واضحاً، واحتلّ فيه مساحةً واسعةً ، فتحدث عنه فى اكثر من موضع، وعرضه فى اكثر من اسلوب، و نعتة باكثر من صفة، وهنا نقف عند اهم المقاطع التى تحدث فيها القرآن الكريم عن الفكر واهميته فى حياة الانسان، ويمكن اجمالها بما يلى:

الفكر الصحيح حياة و نور و عدمه موت و ظلام

لقد شبّه القرآن الكريم الفكر الصحيح بالانسان الذى يتمتع بالحياة ، وله القدرة على ادراك الواقع، ورؤية الحقائق، ومشاهدة مظاهر الكون، والتفكر بها، واكتشاف اسبابها ، و علاقاتها، ، و وصفه بالانسان الذى يحمل نوراً يستنير به لتحديد مسيره الصحيح ، و يميز فيه بين الحق و الباطل، و الخير من الشر، و الهدى من الضلال ، اما من فقد هذه النمة ، فهو

كالميت الذي تعطلت قواه، فلا يسمع شيئاً ولا يعقل أمراً، و لا يهتدى الى خير :

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الانعام: ١٢٢)

يقول العلامة الطباطبائي (قده) فى تفسيره لهذه الاية: (ان لهذه الاية مستويين من الفهم:

الاول: الفهم البسيط و الساذج ، و هو ان الاية مثل مضروب لكل من المؤمن و الكافر يظهر بالتدبر فيه حقيقة حاله من الهدى و الضلال ، فالانسان قبل ان يمسه الهدى الالهى كالميت المحروم من نعمة الحياة الذى لا حس له و لا حركة، فان آمن بربه ايماناً يرتضيه، كان كمن احياه الله بعد موته، و جعل له نوراً يدور معه حيث دار، يبصر فى شعاعه خيره من شره و نفعه من ضره: و اما الكافر فهو كمن وقع فى ظلمات لا مخرج له منها و لا مناص له عنها ، فهو يعيش فى ظلمات متعددة: ظلمة الضلال، و ظلمة الجهل، فى مرحلة تمييز الخير من الشر، و النافع من الضار، ففى الكلام استعارة الموت للضلال و استعارة الحياة للايمان او الاهتداء، و الاحياء للهداية الى الايمان، و النور للتبصر بالأعمال الصالحة، و الظلمة للجهل.

الثانى: الفهم الناتج عن التدبر و التأمل ، فهو يعطى للاية معنى وراء هذا الذى يناله الفهم العامى... فان المؤمن يرى مالا يراه الناس، و يسمع مالا يسمعون، و يعقل مالا يعقلونه، و يريد مالا يريدونه، وان كانت ظواهر اعماله و صور حركاته و سكناته تحاكي اعمال غيره و حركاتهم و سكناتهم و تشابهها ، فله شعور و ارادة فوق ما لغيره من الشعور و الارادة ، و عنده من الحياة التى هى منشأ الشعور و الارادة ما ليس عند غيره من الناس، فللمؤمن مرتبة من الحياة ليست عند غيره، ثم ينتهى (قده) الى هذه النتيجة:

ان للحياة و كذا للنور حقيقة فى المؤمن واقعية و ليس الكلام جارياً على نحو التجوز الذى لا يتعدى مقام العناية اللفظية، فما فى خاصة الله من المؤمنين من الصفة الخاصة بهم احق باسم الحياة مما عند عامة الناس من معنى الحياة، كما ان حياة الانسان كذلك بالنسبة الى حياة الحيوان، و حياة الحيوان كذلك بالنسبة الى حياة النبات) (الطباطبائي

الفكر الصحيح هداية وعدمه ضلال:

الى ذلك يصف الله سبحانه وتعالى القران الكريم - مضمون الفكر - بانه نور وكتاب مبين، نزل به الوحي ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ومن الخوف والاضطراب الى الامن والسلام والاستقرار:

يَأْتَاهَلَّ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (المائدة: ١٥- ١٦).

وهذه الاية المباركة - كما فى تفسير الامثل :- (تشير الى اهمية و عظمة القران المجيد و اثاره العميقة فى هداية و ارشاد و تربية البشرية لان القران نور يهدى به الله كل من يبتغى مرضاته ، و ينقذهم من انواع الظلمات - كظلمة الشرك ، و ظلمة الجهل، و ظلمة التفرقة والنفاق وغيرها - و يهديهم الى نور التوحيد و العلم و الاتحاد و بالتالى يرشدهم الى الطريق المستقيم الذى لا اعوجاج فيه و لا انحراف فى جانبه العقائدى و العملى ، و بهذا تكون الاية قد بشرت اولئك الذين يسعون لكسب رضا الله بانهم سيحظون فى ظل القران بنعم عظيمة ثلاثة هي:

اولاً: الهداية الى سبل السلامة ، و التى تشمل سلامة الفرد و المجتمع روحياً و جسدياً و اخلاقياً و كل هذه الامور تدخل فى الجانب العملى من العقيدة.

وثانياً: نعمة النجاة من ظلمات الكفر و الالحاد .

وثالثاً: الهداية الى النور و هو الجانب الفكرى و العقائدى للانسان (الشيرازى ،

الفكر الصحيح نعمة كبرى و عدمه ضياع

و القرآن الكريم يصف الفكر الصحيح بأنه نعمة الهية كبرى ، و هبها الله سبحانه للبشرية،
كى ما تعيش السعادة الحقيقية، سواء فى جانبها العقلى ، او بعدها الروحى، او واقعها العملى
والتطبيقى

وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة، ٢٣١)

يقول السيد السيزوارى (قده) فى تفسيره لهذه الاية : (ان المستفاد من الايات التى
ذكر فيها هذا اللفظ هو معرفة ظاهر الشريعة و باطنها و المعارف العالية من التوحيد، و النبوة
و الاخلاق الفاضلة و معرفة المصالح و الحكم المبتنى عليها دين الله عزوجل ، فانها بها تصفو
النفوس و تصل الى الكمال المطلوب ، و تتصف بالاخلاق الفاضلة ، و بعبارة اخرى : هى
معرفة الصراط المستقيم من جهة التكوين و التشريع ، كما جعله الله تعالى و العمل بما عرف
(السيزوارى، ١٤١٩، ٤/٤٣)

٤- الفكر الصحيح خير كثير و عدمه شر محض

و فى سورة البقرة ، يستعرض القرآن الكريم مجموعة من الاصول الفكرية الحقّة و
يقارنها بما يقابلها من الافكار المنحرفة (الايات ٢٥٨-٢٦٨) ثمّ ينتهى الى تقرير هذه النتيجة
: و هى ان المعرفة الصحيحة و الاعتقاد الصائب فيه الخير الكثير و النعم الوافرة، لكن
لا يدرك هذه الحقيقة اولئك الذين اتبعوا الهوى، و انساقوا وراء الدنيا، بل يدركها اصحاب
العقول السليمة ، و القلوب الواعية ، التى عرفت الحق ، و عشقت الحقيقة .

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (البقرة: ٢٦٩)

و فى تفسيره لهذه الاية يقول السيد فضل الله: (ان الله هو الذى يعطى عبادة النعم الباطنة

فى الوجدان الداخلى للانسان ، فيلهمه الصواب فى الفكرة و السداد فى الرأى، و المنهجية فى طريقة التفكير و فى النظرة الى الامور، و هذا تمثله الحكمة فى مضمونها الفكرى على مستوى المنهج و الوسيلة و الفكرة ، فيدرس القضايا من سلبياتها و ايجابياتها و مقدماتها و نتائجها و الظروف الموضوعية المحيطة بها على مستوى الدنيا و الاخرة ، ثم يثير امام الانسان طريق الحكمة فى الحياة فيما تمثله هذه الكلمة من تنظيم اعمال الانسان و تخطيط اوضاعه على حسب الموازين الدقيقة للاشياء بحيث يضع كل شئ فى موضعه ثم يؤكد الله سبحانه على ان الحكمة نعمة كبيرة يمنحها لمن يشاء من عبادة لانها تهدي الانسان الى التوازن الدقيق فى الحياة ، فهى القيمة الكبيرة فى شخصيته التى تفوق الجاه و المال و الجمال، لانها هى التى توجه ذلك كله الى الوجهة التى ينبغى ان تقف عندها الاشياء).

(فضل الله ، ١٤١٩، ١٠٨/٥)

٥: الفكر الصحيح بصر وعدمه عمى

و يتكرر ذات المشهد فى سورة الرعد، فبعد ان يطرح القران الكريم السؤال الاستنكارى التالى على المشركين بقوله: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيأتى الجواب بديهياً تنطق به كل مظاهر الكون وحقائق الوجود، بانه هو الله، فيكرر القران السؤال الاستنكارى التالى، ولكن بلهجة اشد: (قُلِ اللَّهُ قُلٌّ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) اليس من العجب حقاً ان يجعل شخص لرب السماوات والارض شريكاً عاجزاً عن تحقيق النفع لنفسه و دفع الضرر عنها ، فضلاً عن منفعة الاخرين؟! لكن لاعجب لفعل هؤلاء ، وغيرهم مما نشاهدهم فى واقعنا المعاش ، بعد ان تلوثت فطرتهم بالمعاصى ، و تكذرت نفوسهم بالآثام، ثم بعد هذا الاستغراب الذى يبديه القران من فعل هؤلاء ، يقرر الحقيقة التالية، للمقارنة بين نمطين من التفكير و لونين من الرؤية:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) (الرعد: ١٦)

انه تساؤل يحمل الكثير من المعانى، وعلامات الاستفهام (كيف يمكن ان نساوى بين الظلام الذى يعتبر قاعدة الانحراف والضلال ، وبين النور المرشد والباعث للحياة ، وكيف يمكن ان نجعل الاصنام التى هى الظلمات المحضة الى جنب الله الذى هو النور المطلق، وما المناسبة بين الايمان والتوحيد للذان هما نور القلب والروح، وبين الشرك الذى هو اصل الظلام والتخلف) (الشيرازى ، ١٤٢٦ ، ٢٣٧/٧)

و فى سورة فاطر، يؤكد القران الكريم الحقيقة التالية : و هى ان الله غنى عن الناس جميعاً ، و جميع الموجودات، من الانسان وغيره، هم فقراء و محتاجون اليه و ان مصيرهم بيده، و بقاءهم مرتبط بارادته: (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٧﴾ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٨﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (فاطر: ١٥ - ١٧).

ثم بعدها باية واحدة مرتبطة بذات الموضوع تأتى النتيجة التالية: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (فاطر: ١٩-٢٢).

يقول سيد قطب (رحمه الله) فى تفسيره لهذه الايات : (و بين طبيعة الكفر، و طبيعة كل من العمى و الظلمة و الحرور و الموت صلة، كما ان هناك صلة بين طبيعة الايمان، و طبيعة كل من النور و البصر و الظل و الحياة، ان الايمان نور، نور فى القلب و نور فى الجوارح و نور فى الحواس ، نور يكشف حقائق الاشياء و القيم و الاحداث و ما بينهما من ارتباطات و نسب و ابعاد ، فالمؤمن ينظر بهذا النور، نور الله، فىرى تلك الحقائق و يتعامل معها ، فلا يتخبط فى طريقه و لا يطيش فى خطواته ! و الايمان بصر يرى به رؤية حقيقية صادقة غير مهزوزة ، و لا مخلخلة ، و يمضى بصاحبه فى الطريق على نور و على ثقة و فى اطمئنان ، و الايمان ظل ظليل تستريح له النفس و يرتاح له القلب ، ظل من هاجرة الشك و القلق و الحيرة فى التية المظلم بلا دليل. و الايمان حياة : حياة فى القلوب و المشاعر و فى

القصد و الاتجاه كما انه حركة بانية ، مثمرة ، قاصدة ، لا خمود فيها ولا همود ، ولا عبث فيها و لا ضياع ، و الكفر عمى ، عمى فى طبيعة القلب ، و عمى عن رؤية دلائل الحق ، و عمى عن رؤية حقيقة الوجود، و حقيقة الارتباطات فيه، و حقيقة القيم و الاشخاص و الاحداث و الاشياء، و الكفر ظلمة او ظلمات فعندما يبتعد الناس عن نور الايمان يقعون فى ظلماتٍ من شتى الانواع و الاشكال، ظلمات تعز فيها الرؤية الصحيحة لشيء من الاشياء، و الكفر هاجرة حرور تفتح القلب فيه لوافح الحيرة و القلق، و عدم الاستقرار على هدف، و عدم الاطمئنان الى نشأة او مصير، و الكفر موت ، موت فى الضمير و انقطاع عن مصدر الحياة الاصيل، و انفصال عن الطريق، و عجز عن الانفعال و الاستجابة الاخذين من التبع الحقيقى، و المؤثرين فى سير الحياة و لكل طبيعته و لكل جزاؤه، و عليه، لن يستوى عند الله هذا و ذاك (قطب ، ١٤١٢، ٢٩٣٩/٥)

المطلب الثانى : اسس البناء الفكرى فى القرآن الكريم

و مثلما تعرض القرآن الكريم الى اهمية الفكر وضرورته فى حياة الانسان ، تعرض كذلك الى اسس البناء الفكرى ، و القاعدة التى يجب ان ينطلق منها ، و يركز عليها، و من اهم هذه الاسس التى ذكرها القرآن الكريم هى:

اولاً : الفطرة

يعتبر القرآن الكريم الفطرة هى الركيزة الاولى لبناء الفكر، بمعنى ان الفكر الصحيح لا يبدؤ ان يكون منسجماً و متوافقاً تماماً مع مقتضيات الفطرة الانسانية واحكامها ، لانّ الفطرة السليمة جبلت على قبول كل ماهو صحيح و نافع ، ورفض كل ماهو باطل و ضار، و هذا ما تؤكده العديد من الايات القرآنية الكريمة ، و لكن قبل ان نستعرضها لا يبدؤ ان نتعرض الى تعريف الفطرة اولاً و النظريات التى طرحت حولها ثانياً، واهم مجالاتها ثالثاً، ثم نستعرض اهم الايات الواردة فيها رابعاً.

تعريف الفطرة

لغةً

قال الراغب الاصفهاني : اصل الفطر الشق طولاً، ومنه الفطرة، و فطرة الله: هي ما ركز في الناس من معرفته تعالى (الاصفهاني ، ١٤٣٠ ، ٥٠٣) ، و هو المشار اليه بقوله : (و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (الزخرف : ٨٧) .
وقال ابن منظور : (الفطرة : ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به) (ابن منظور ، ١٤٠٨ ، ٢٨٥/١٠) .

و قال الطريحي : (الفطرة : الخلقة ثم جعلت للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص و المعنى كل مولود يولد على معرفة الله تعالى ، و الاقرار به ، فلا تجد احداً الا و هو يقر بان له صنعا ، و ان سمّاه بغير اسمه ، او عبّد معه غيره ، فلو ترك عليها لأستمر على لزومها ، و أنّما بعده عنها لآفة ، من التضليل ، كالتهود و التنصير و التمجيس) (الطريحي ، ١٤١٦ ، ٤٣٨/٣)

ب- اصطلاحاً

و الفطرة - اصطلاحاً - لها معاني ثلاث :

ب١- ان البحث عن الله من الرغبات الفطرية للانسان ، و الشاهد على ذلك هو ان افراد البشر على طول التاريخ يبحثون عن الله و بالتالي كان الناس يتمتعون بلون من الدين و الايمان بربّ خالق للكون و الوجود على الرغم من اختلافهم ، عرقياً و ثقافياً و جغرافياً ، يقول (بنيامين قونستان) ، احد علماء تاريخ الاديان : (ان الشعور الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الازلية و من المستحيل ان نتصور ماهية الانسان دون ان تتبادر الى ذهننا فكرة الدين) (المظفر ، ١٤١٣ ، ٦/١) .

و يقول الدكتور (ماكس توردو) عن الشعور الديني : (ان هذا الاحساس اصيل يجده

الانسان غير المتدين كما يجده اعلى الناس تفكيراً و اعظمهم حدساً ، و ستبقى الديانات ما بقيت الانسانية و ستتطور بتطورها و ستتجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التى تبلغها الجماعة) (اليوسف ، ١٤٢٣ ، ١٨) .

و يقول المؤرخ المعاصر (ويل دورانت) : صحيح ان بعض الشعوب البدائية ليس لها ديانة على الظاهر، فبعض قبائل الاقزام فى افريقية لم يكن لهم عقائد او شعائر دينية على الاطلاق، الا ان هذه الحالات نادرة الوقوع و لا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعاً اعتقاداً سليماً ، وهذه فى رأى الفيلسوف حقيقة من الحقائق التاريخية و النفسية (السبحانى ، ١٤٢٧ ، ٣٦/١)

ب٢- ان معرفة الله معرفة فطرية اما حضورية او حصولية ، و المقصود بالمعرفة الفطرية الحضورية هو ان لقلب الانسان ارتباطاً عميقاً بخالقه و عندما يغور الانسان الى اعماق قلبه فانه يجد مثل هذا الارتباط ، و المقصود من المعرفة الفطرية الحصولية لله هو ان عقل الانسان ليس بحاجة الى بذل الجهد للتصديق بوجود الله سبحانه و تعالى ، بل هو يدرك بسهولة ان وجود الانسان و جميع ظواهر العالم محتاجة الى خالق غنى و غير محتاج الى احد .

ب٣- هو ان عبادة الله سبحانه و تعالى رغبة فطرية ، و الانسان بحسب فطرته طالب لعبادته و الخضوع اليه و التسليم لقدرته (المصباح ، ١٤٠٨ ، ٢٩/١)

اهم النظريات فى المعرفة الفطرية

هذا وقد تعرض الفلاسفة الى هذا الموضوع منذ زمن بعيد و قد طرحت حوله نظريات متعددة منها :

أ- النظرية الافلاطونية

ذهب الفيلسوف اليونانى افلاطون ، و من تبعه الى ان جميع معلومات الانسان موجودة فى داخله منذ كان فى عالم المثل و ما يكتسبه من معلومات فى الدنيا، انما تساهم فى

تذكيره بتلك المعلومات الاولية لان يكتسب معلومات جديدة

ب: نظرية فرويد و من تبعه من الماديين

و قد ذهب فرويد فى هذه النظرية الى القول : ان المعرفة عند الانسان بجميع اقسامها فطرية الا ان هذا الادراك الفطرى انما هو انعكاس لتجاربه و حاجاته المتنوعة و ليست بدائية ، حيث يقول : (ان الوجدان الاخلاقى لا يمثل سلوكاً ذاتياً و عميقاً لروح الانسان بل انه رؤية باطنية بسيطة للنواهى الاجتماعية ولا يوجد فى تاريخ المجتمع ولاتاريخ الفرد تصورات بدائية عن حسن الأشياء و قبحها ، انما تولدت هذه التصورات من البيئة الاجتماعية و تسببت عنها) (الشيرازى ، نفحات القران ، ٢٠٠/١)

ج- النظرية الاسلامية

وفى هذه النظرية ، يذهب علماء الاسلام الى القول بأن قسماً من معلومات الانسان فطرية و قسماً اخر اكتسابية ، و هذا القسم -الخير- يعود بالنهاية الى المعلومات الفطرية، و بالتالى تكون المعلومات الفطرية هى الاساس و المرتكز للمعلومات الاكتسابية ، و هذا ما تؤكده الادلة العقلية و النقلية على حد سواء (الشيرازى ، ٢٠٠/١)

مجالات الفطرة

و المعلومات الفطرية لها مجالات اساسية اربعة :

أ- ادراك الحسن و القبح، بمعنى ان الانسان يدرك بوجدانه و فطرته حسن بعض الصفات : كالحسان، و العدل، و الصدق ، و الشجاعة ، و ماشابه، من دون الحاجة الى تعلم ، كما انه يدرك وجداناً ايضاً، قبح بعض الصفات : كالظلم و الجور ، و البخل، و الحسد، و الخيانة، و الاية الشريفة: (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ) (الشمس: ٨) تشير الى هذا النوع من التعاليم الفطرية.

ب- ادراك البديهيات العقلية، مثل: (الكل اكبر من الجزء) (استحالة اجتماع الضدين او

التقيضين) و غير ذلك من البديهيات ، و قد استندت كثير من الايات القرآنية الى هذه المعرفة الفطرية فى مخاطبتها العقل البشرى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدْعُونَ لِلَّهِ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر: ٩) (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) (الرعد : ١٦).

ت- تأنيب الضمير : بمعنى ان الانسان يمتلك وجداناً داخلياً يدفعه باتجاه فعل الحسنات و يمتدحه على القيام بها ، و يردعه عن ارتكاب السيئات ويؤنبه عليها، (فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِكُمْ فَاقْضُوا مِنكُمْ إِنكُم مَّا كُنْتُمْ آتِئْتُمُ الظَّالِمُونَ) (الانبياء : ٦٤).

ث- ادراك الاصول الدينية : و هى المعرفة المتعلقة باصول الدين و فروعه الاساسية ، وهناك ايات كثيرة تشير الى هذه المعرفة سنتعرض اليها فى البحث التالى.

٤- الايات القرآنية الدالة على المعرفة الفطرية

ان القران الكريم يؤكد فى كثير من اياته الشريفة على ان الاصول العامة للشريعة الاسلامية - من قبيل التوحيد، و المعاد، و الاحسان، و العدل و قبح الظلم، و الدفاع عن المظلومين، و اعانة الفقراء و ...- منسجمة مع الفطرة، و موجودة فى داخل الانسان، وهى - بالتالى - جزء من مقتضيات فطرته السليمة. يقول العلامة الطباطبائى (قده): (ان الصنع و اليجاد قد جهز كل نوع من الانواع - و منها الانسان - من القوى و الادوات بما يرتفع بفعاليته حوائجه و يسلك به سبيل الكمال ، و منه يستنتج ان للجهازات التكوينية التى جهز اقتضاءات للقضايا العملية ، المسماة بالسنن و القوانين التى بالعمل بها يستقر الانسان فى مقر كماله مثل السنن و القوانين الراجعة الى التغذية المعتبرة ، بما ان الانسان مجهز بجهاز التغذية، و الراجعة الى النكاح، بما ان الانسان مجهز بجهاز التوالد و التناسل، فيظهر من ذلك، ان من الواجب ان يتخذ الدين - و هو الاصول العملية و السنن و القوانين العملية التى تضمن باتخاذها و العمل بها سعادة الانسان الحقيقية - من اقتضاءات الخلقة الانسانية، و بالتالى ينسجم و ينطق التشريع و التكوين مع الفطرة معاً، و هذا هو المراد بكون الدين فطرياً) (الطباطبائى، ١٦، ١٤١٢/١٩٣) و قد دلت على هذا المعنى ايات عديدة فى القران الكريم، منها:

قوله تعالى:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم : ٣٠).

و في معرض تفسيره لهذه الاية الكريمة يقول العلامة مكارم الشيرازى : ان هذه الاية الكريمة تؤكد على ان الدين الحنيف الخالص من كل انواع الشرك ، هو الدين الذى الهمه الله سبحانه و تعالى فى كل فطرة، تلك الفطرة الخالدة التى لا تتغير و لا تتبدل ، ثم قال : ان هذه الاية تؤكد على عدة امور:

اولاً: ان معرفة الله ليست وحدها امراً فطرياً، بل الدين و الاعتقاد بشكل كلى ، و فى جميع ابعاده هو امر فطرى ، و ينبغى ان يكون كذلك لان الدراسات التوحيدية تؤكد ان بين جهاز التكوين و التشريع انسجاماً لازماً، فما ورد فى الشرع لابد ان يكون له جذر فى الفطرة، و ما هو فى التكوين و فطرة الانسان متناغم مع قوانين الشرع.

ثانياً: ان الدين له وجود نقى خالص من كل شائبة داخل نفس الانسان، اما الانحرافات فأمر عارض، ووظيفة الانبياء هى ازالة هذه الامور العارضة و فسخ المجال لفطرة الانسان فى الاشراق. (الشيرازى، ١٤٢٦، ١٢/٣٣٣)

و قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الاعراف : ١٧٢).

و هذا الاشهاد - كما يذهب كثير من المفسرين، و منهم العلامة الشيخ مصباح البيزدى، هو الاشهاد المنطلق من عملية الخلق، حيث يقول : الذى يستفاد بوضوح من الايتين هو ان كل فرد من افراد الانسان يتمتع بلون من المعرفة بالله و وحدانيته ، بحيث يمكن التعبير عن كيفية حصول ذلك بأن الله قال لهم : (الست بربكم) فاجابوا : (بلى شهدنا) و قد جرى

تبادل هذا الحديث بشكل لا يترك مجالاً للعتذار او ادعاء الخطأ فى التطبيق، وعلى هذا فانه لا يستطيع احد ان يدعى يوم القيامة انه كان جاهلاً بربوبية الله، و لا يستطيع ان يجعل التبعية للاباء و السابقين عذراً لشركه و انحرافه، و يبدو ان هذه المكاملة و المشافهة المسقطه للأعدار و النافية للخطأ فى التطبيق لا تحصل الا بالعلم الحضورى و الشهود القلبي، و تؤيد ذلك روايات عديدة تشتمل على التعبير ب(الرؤية) و (المعاينة)، روى عن الامام الصادق (ع) انه قال (ولولا ذلك لم يدر احد من خالقه ورازقه) (الطبائى، ١٤١٢، ٨ / ٣٣٠)

يستفاد من هذه العبارة ان المعرفة المشار اليها فى الاية الكريمة هى معرفة شخصية لا كلية حاصلة عن طريق المفاهيم الانتزاعية و العناوين العقلية، و المعرفة الشخصية بالله جل و علا غير ممكنة الا عن طريق العلم الحضورى و الشهودى.

والمحصل انه يستفاد من هذه الاية ان جميع افراد الانسان يتمتعون بمعرفة فطرية لله تعالى، و هى لون من لون العلم الحضورى و الشهودى بالخالق - عز وجل - الا ان هذه المعرفة نصف واعية بالنسبة لعامة الناس، فهم غير ملتفتين اليها فى حياتهم الاعتيادية، و هذه المعرفة نصف الواعية، هى التى تصل الى حد الوعى التام نتيجة لقطع العلاقات المادية، و تقوية التوجهات القلبية، فتستحكم عند اولياء الله الى درجة لا يجدون شيئاً اظهر واجلى من وجود الله سبحانه و تعالى، و لعل هدف كثير من آيات القران هو الفات الناس الى هذه المعرفة الفطرية و تنوير القلب بمعرفة الله بشكل اعمق كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَىِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (الانعام: ٩٥)

كأن التأمل فى الظواهر الحية تعدد القلب ليرى يد الله فى الطبيعة، و يدرك حضوره الواسع فى هذا الكون، وهذا ما يشير اليه ايضاً قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ ﴾ (الانعام: ١٠٢)

و قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

(الانعام: ٤٠ - ٤١) وهذه الآية المباركة تقرر ان المشركين حينما يحيط بهم العذاب من خلال نزول البلاء او عندما تقترب منهم ساعة الموت يتركون الاصنام و يتخلون عن الشرك و يلجأون الى الله ، ففي مثل تلك الظروف تستيقظ الفطرة و تلجأ الى الله القدير ، وهناك (يفتتح فى قلبه النور الالهى فى اشراقه الايمان العميق فهذا هو الله خالق كل شئ و مرجع كل شئ و تنطلق الدعوات فى جو اليقظة ابتهالاً و خشوعاً ، و خضوعاً اليه و تغيب الاصنام الحجرية و الخشبية و البشرية فى ضباب النسيان، وهنا يأتى الدور الالهى من خلال ما تقتضيه حكمته العالمة بأسرار الاشياء و الاشخاص ، فيكشف البلاء ، و يستجيب الدعاء ان شاء او يهمل كل ذلك، لان الموقف الاشراكي و العصياني قد وصل الى الحد الذى لا مجال معه للرحمة الالهية (فضل الله، ١٤١٩، ٩٩/٩)

و قوله تعالى:

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (الغاشية: ٢١)

و قوله تعالى:

(كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ

أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفَرَةِ) (المدثر: ٥٤ - ٥٦)

و قوله تعالى:

(طه) ﴿١٣﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١٤﴾ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ تَحْسَبُ (طه: ١٣)

فهذه الايات، هى الاخرى تؤكد على فطرية الدين، لان القرآن انما هو ذكر وتذكرة،

والرسول الاكرم انما هو مذكر، يقول الشيخ الاملى: (من مجموع الايات التى وردت فيها كلمات من قبيل الذكر و الذكرى و التذكرة و المذكر سواء كان ذلك فى معرض تعريف

رسول الله او تعريف القران او شرح برامج الرسول(ص)، يمكن الاستنباط منها ، و بسهولة ، ان الاعتقاد بالمبدأ و المعاد موجود فى طبيعة و فطرة كل انسان، و لانه موجود فى فطرة الجميع فان الانتباه اليه يسير، (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) (القم: ١٧)

بمعنى ان معرفة المفاهيم القرآنية ليست بصعبة، لان مضمونها يتفق و الميول الباطنية للانسان، لا يفرض عليه شئ اجنبى من الخارج، لذلك كان فهم و قبول هذه المفاهيم سهلا و يسير على القلوب (جوادى آملی، ٢٦، ١٤١٥)

و من الواضح ان هذه الايات لاتختص بالمؤمنين او بأهل الكتاب ، حتى يقال ان ارشاد النبى الكريم (ص) هو ذكرى لهم لانهم يمتلكون سابق معرفة بالاسس العقائدية، بل هى تشمل كل الانسانية، و على مختلف توجهاتها الفكرية و العقائدية ، لان رسالة السماء رسالة عالمية، لم تختص باحد دون اخر (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ : ٢٨)

هذه الايات الكريمة و غيرها ، اكدت وبشكل واضح على ان الدين الحنيف قد الهمة الله سبحانه و تعالى فى فطرة كل انسان بحيث يلتفت اليه بادنى تأمل و انتباه،

ثانياً: العلم

والعلم هو الركيزة الاساسية الاخرى التى اعتمدها القران الكريم فى عملية البناء الفكرى ، ففى نصوص متعددة اكد القران الكريم على ضرورة ان يبنى الفكر على اسس علمية، و معطيات واقعية، و رفض ان تتأسس اصوله على غير العلم و القطع و اليقين، كالظن، و الوهم، و التخيل، و تتعرض لدراسة هذا الموضوع من خلال العناوين التالية:

تعريف العلم

قال الراغب الاصفهاني: العلم هو ادراك الشئ بحقيقته، و ذلك ضربان:

احدهما : ادراك ذات الشئ (التصور) الثانى : الحكم على الشئ بوجود شئ هو

موجود له او نفى شئ هو منفى عنه (التصديق) ، و الاول هو المتعدى الى مفعول واحد نحو

قوله تعالى (تَعَلَّمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) (الانفال: ٦٠) و الثاني: هو المتعدى الى مفعولين نحو

قوله تعالى: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) (الممتحنة: ١٠) (الاصفهانى، ٤٥٣، ١٤٣٠)

و قال الزبيدى : العلم و المعرفة و الشعور - عند اكثر اهل اللغة - بمعنى واحد و انه يتعدى بنفسه فى المعنى الاول و بالباء اذا استعمل بمعنى شعر ثم قال : و لكن اكثر من المحققين يفرقون بين الكل، و العلم عندهم اعلى الاوصاف لانهم اجازوا اطلاقه على الله تعالى، و لم يقولوا عارف فى الاصح ولا شاعر (الزبيدى، ١٤١٤، ١٧/٤٩٥)

و قال التهاونى: ان العلم هو ادراك الشئ بحقيقته و العلم عند المتكلمين لا معنى له سوى اليقين، و عند اهل اللغة هو اليقين لانه من باب افعال القلوب (التهاونى، ١٩٩٦، ٢/١٢١٩)

و قال العقاد: العلم بالقران هو جملة المعارف التى يدركها الانسان بالنظر فى ملكوت السموات و الارض، و ما خلق من شئ و يشمل الخلق هنا كل موجود فى هذا الكون ذى حياة او غير ذى حياة و يرى الاستاذ غالب حسن: ان العلم فى القران اوسع من هذا بكثير، و قد بحث هذا الموضوع بحثاً وافياً فى كتابه القيم: (نظرية العلم فى القران الكريم) (حسن، ١٤٢١، ٨٤)

٢- اهمية العلم فى القران الكريم

و العلم - ايضاً - من المواضيع التى حظيت باهتمام بالغ فى القران الكريم ، فقد ورد ذكره فى اكثر من (٧٥٠) اية شملت معظم السور القرانية، و اذا ما قارنا هذا العدد مع عدد آيات الاحكام التى لا تتجاوز (٥٠٠) اية، يتبين بوضوح مدى العناية الكبيرة التى اولاهها القران الكريم لهذا الموضوع، و مما يؤكد هذه الحقيقة ما يلى:

أ- العلم هو النداء الاول للقران الكريم.

لقد اجمع المسلمون، على مختلف مذاهبهم، ان اول ما نزل من القران هو الايات الاولى

من سورة العلق: (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلْقِمْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (العلق: ١-٥)، و بهذا يكون

العلم

هو النداء الاول للقران الكريم، و الدعوة الاولى التى ابلغ بها الرسول الاكرم (ص)، و من خلاله لأمته جميعاً، بل وللبشرية كافة، مما يدل بوضوح على المنزلة السامية للعلم، و اثره الكبير فى تكامل الانسان و تحقيق سعادته، غير ان العلم الذى له هذه الخصوصية، انما هو العلم الهادف، المرتبط بمصدر الكون و خالق الوجود، و هو الله سبحانه و تعالى: (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، يقول السيد محمد حسين فضل الله: (تحض هذه السورة المكية على القراءة باعتبارها السبيل الى المعرفة، لكن ليس مطلق القراءة، انما القراءة المسؤولة التى لا تتحرك باسم الذين يحولون المعرفة الى انحراف بالانسان عن الخط المستقيم بل تتحرك باسم الله الذى خلق: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) حتى حوله الى خلقٍ سوى عاقل، فانفتح على الحياة كلها، باسم الرب الاكرم، الذى يمنح عباده بكرمه كل خيرٍ و بركة، و يقودهم الى المعرفة بواسطة القلم، الذى يكتب كل الوحي الذى ينزل من الله على رسله، ليتعلموه و ليحفظوه و لتحفظ المعرفة مكتوبة للأجيال (فضل الله، ١٤١٩، ٢٤ / ٣٢٧)

ثم تذكر الايات الكريمة بنعمة خلق الانسان، و كيف كانت بدايته، و كيف انتهى مصيره، انه خلق من نقطة دموية جامدة حتى صار انساناً سوياً، يتميز عن جميع الموجودات بصفة العلم، و القدرة على التفكير، ثم تعود الايات ثانية للحديث عن موضوع العلم فتشير الى اهم وسيلة من وسائله، و هو القلم، يقول سيد قطب (رحمة الله): (و هنا تبرز حقيقة التعليم، تعليم الرب للانسان ((بالقلم)) لان القلم كان و مايزال اوسع و اعرق ادوات التعليم اثراً فى حياة الانسان، و لم تكن هذه الحقيقة اذ ذاك بهذا الوضوح الذى نلمسه الان و تعرفه فى حياة البشرية، ولكن الله سبحانه و تعالى كان يعلم قيمة القلم، فيشير اليه هذه الاشارة فى لحظةٍ من لحظات الرسالة الاخيرة للبشرية، فى اول سورة من سور القران

الكريم، هذا مع ان الرسول الذى جاء بها لم يكن كاتباً بالقلم ، و ما كان ليبرز هذه الحقيقة ، منذ اللحظة الاولى ، لو كان هو الذى يقول هذا القران، لولا انه الوحي، و لولا انها الرسالة ! ثم تبرز مصدر التعليم و ان مصدره هو الله ، منه يستمد الانسان كل ما علم و كل ما يعلم و كل ما يفتح له من اسرار هذا الوجود، و من اسرار هذه الحياة و من اسرار نفسه، فهو من هناك من ذلك المصدر الواحد الذى ليس هناك سواه ، و بهذا المقطع الواحد الذى نزل فى اللحظة الاولى، حسن اتصال الرسول (ص) بالمالأ الاعلى بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الايمانى العريضة، كل امر كل حركة، كل خطوة، كل عمل، باسم الله، و على اسم الله، باسم الله تسيير، و الى الله تتجه، و الى الله تصير و الله هو الذى خلق و الذى علم ، (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم) (قطب: ١٤١٢ ، ٣٩٣٨/٦)

ب- العلم هو الهدف الاساسى للبعثة النبوية الشريفة

و العلم هو الهدف الاساسى للبعثة النبوية الشريفة، ففى جميع الايات القرانية التى تعرضت الى هذا الموضوع، اكدت ان التربية و التعليم هو الهدف الاساسى لها:

(رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة: ١٢٩)

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (ال عمران: ١٦٤)

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة: ٢)

والايات الكريمة - على اجمالها - تؤكد على ان البعثة النبوية الشريفة احسان و من من الله سبحانه وتعالى على الخلق، لانها تتولى مهمة انقاذ الناس من الجهل و الضلال و

ترفعهم الى درجة العلم والهداية، و من الانحراف الى الاستقامة، و من الشرك الى التوحيد، و بالتالى اكدت هذه الايات الكريمة على اربع نعمٍ عظيمةٍ منحها الله سبحانه وتعالى الى العباد، كلٌ واحدةٍ منها تستحق الشكر و الامتنان الكثير:

الاولى: ان الرسول الكريم الذى بعث اليهم هو من انفسهم ، اى من جنسهم، يفهمون كلامه، و يعرفون نسبه و منزلته، و كمالاته الروحية و الاخلاقية الفاضلة، مما يسهل عليهم فهم رسالته، و تصديق دعوته، و بالتالى الايمان به، و الانقياد اليه.

الثانى: يتلو عليهم ايات الله، التى تهديهم الى معرفة نظام الكون و القدرة العظيمة التى تقف وراء وجوده و ابداعه، و تعرفهم على انفسهم و دورهم فى هذه الحياة و تميز لهم الحق من الباطل، و الخير من الشر، و الهدى من الضلال، و تضع لهم المنهج المتكامل لادارة شؤون حياتهم، و متطلبات معيشتهم.

الثالثة: تزكية نفوسهم بالاعمال الصالحة، و الاخلاق الفاضلة ، و تطهيرها من العقائد المنحرفة و الافكار الباطلة و الصفات الرذيلة، التى كانوا عليها قبل البعثة.

الرابعة: تعليمهم القران الكريم الذى تضمن المعارف الحقة، و الاخلاق الفاضلة ، و الاحكام العادلة ، التى تضمن سعادتهم فى الدنيا و الآخرة و كمالهم على الاصعدة كافة (مغنية ، ١٩٩٠ ، ١٩٧ /٢ ، والسبزواري ، ١٤٢٨ ، ٤٢/٧)

ت - العلم هو المعيار الاساسى لقيمة الانسان

و القران الكريم يعتبر العلم هو المعيار الاساسى لمقياس قيمة الانسان و ميزته عن الاخرين ، ففى قضية خلافة ادم (ع) و اعتراض الملائكة عليه ، يجعل الله سبحانه و تعالى العلم هو المعيار الاساسى لاختيار ادم (ع) لهذه المهمة : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِیْفَةًۭۙ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا وَیَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَحَنُنٌۭۙ نُّسِیْحٌۭۙ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَۙ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٥٦﴾ وَعَلَّمَۤ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ

فَقَالَ أَنْبِؤْنِي بِأَسْمَاءٍ هُنَّ أَوْلَاءٌ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (البقرة: ٣٠ - ٣٣)

يقول الفخر الرازى (رحمه الله): هذه الآية (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...) دالة على فضل العلم فانه سبحانه ما اظهر كمال حكمته فى خلقه ادم (ع) الا بأن اظهر علمه ، فلو كان فى الامكان وجود شئ اشرف من العلم لكان من الواجب اظهار فضله بذلك الشئ ، لا بالعلم ، و اعلم انه يدل على فضيلة العلم الكتاب و السنة و المنقول ، اما الكتاب فوجوه : الاول : ان الله سمي العلم بالحكمة ، ثم انه تعالى عظم امر الحكمة و ذلك يدل على عظم شأن العلم و بيان انه تعالى سمي العلم بالحكمة ما يروى عن مقاتل : انه قال : تفسر الحكمة فى القران على اربعة اوجه :

احدهما : مواعظ القران قال فى سورة البقرة: (وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَلِكْتَابٍ وَالْحِكْمَةِ) (البقرة: ٢٣١) يعنى مواعظ القران وفى النساء: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (النساء: ١١٣)

يعنى الواعظ

ثانيها: الحكمة بمعنى الفهم و العلم

كقوله تعالى: (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (مريم: ١٢) و قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (لقمان: ١٢) يعنى العلم و الفهم ، و قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ) (الانعام: ٨٩)

ثالثاً : الحكمة بمعنى النبوة

كقوله تعالى: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (النساء: ٥٤) يعنى النبوة ، و قوله تعالى: (وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ) (البقرة: ٢٥١)

كقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل : ١٢٥)،

و قوله تعالى: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (البقرة : ٢٦٩)، و جميع هذه

الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم، ثم نذكر ان الله تعالى ما اعطى من العلم الا القليل، قال:

(رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ قَلِيلًا إِلَّا) (الاسراء: ٨٥)، و تسمى الدنيا بأسرها قليلاً: (قُلْ مَتَّعُ

الدُّنْيَا قَلِيلًا) (النساء : ٧٧)، فما سماه قليلاً لا يمكننا ان ندرك كميته فما ظنك بما سماه

كثيراً، ثم البرهان العقلي على قلة الدنيا و كثرة الحكمة ، ان الدنيا متناهي القدر، متناهي العدد

متناهي المدة، و العلم لا نهاية لقدره، و عدده، ومدته ولا للسعادات الحاصلة فيه و ذلك

ينبك على فضيلة العلم.

الثاني: قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يِعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر: ٩) و قد فرق بين سبع نفر في كتابه فرق بين الخبيث و الطيب فقال :

(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) (المائدة : ١٠٠) يعنى الحلال و الحرام، و فرق بين الاعمى

و البصير، فقال: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) (الانعام: ٥٠) و فرق بين

النور و الظلمة فقال: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) (الرعد: ١٦)، و فرق بين الجنة و

النار و بين الظل و الحرور، و اذا تأملت وجدت كل ذلك مأخوذاً من الفرق بين العالم و

الجاهل) (الرازي، ١٤١٧، ٢ / ٤٠٠)

و بهذا يتضح ان القيمة الاساسية للانسان هو العلم، لانه طريق الهدى و رأس كل

فضيلة، به يطاع الله، و به يتميز الحق من الباطل، و به تتقدم الامم و تزدهر الحضارات و

تحيا الشعوب و تتوحد المجتمعات،: (وقد استوحى الامام على(ع) هذا المعنى فى حديثه عن

المعرفة بقوله: ((قيمة كل امرئ ما يحسنه)) (نهج البلاغة، الحكمة/ ٨١) فاعطى المعرفة دور القيمة في مقابل الذين اعطوا القيمة للمال و للجاه، ولغير ذلك من متاع الدنيا و قيم المادة (فضل الله، ١٤١٩، ٣١١/١٩)

ث - العلم شرط اساسى لتحمل المسؤولية

و القرآن الكريم يجعل العلم شرطاً اساسياً لتحمل اعباء المسؤولية و النهوض بمهامها، و ذلك لان الانسان مالم يستند في حياته العملية، سواء الخاصة منها او العامة ، على معرفة صحيحة، و معلومات كافية، لا يمكن له ان يحقق اهدافه ، و يؤدى دورة بنجاح، ان معطيات التجربة العملية تؤكد ان الانسان كلما كان اكثر علماً فى موضوع ما، كان اكثر من غيره قدرةً على التعامل معه بشكل صحيح ، و الاستفادة منه بطريقة اكمل، و بالمقابل، كلما جهل الانسان فى قضية معينة ، كان حظه معها من الفشل اكبر ، و من الخسارة اوفر ، ولذا اكدت الشريعة الاسلامية فى نصوص متعددة ان العامل من دون علم سيكون ضرره اكثر من نفعه (راجع المجلسى، ١٤٠٣، ٢٠٨/١)، و من هنا اعتبر القرآن الكريم صفة العلم شرطاً اساسياً لتحمل المسؤولية، ففى قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ اٰيْمَةً يَهْدُونَ . بِاَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِقَايَتِنَا يُوْقِنُونَ) (السجده: ٢٤) يؤكد القرآن الكريم ان مقام الامامة، و دور الهداية، لا يتحقق لاحد الا اذا ما توفر على شرطين اساسيين:

احدهما: المعرفة اليقينية بآيات الله

ثانيهما: الصبر و الاستقامة

و قوله تعالى: (قَالَ اِنَّ اِلٰهَ اَصْطَفٰنِهٖ عَلَيْكُمْ وَّزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاَللّٰهُ

يُؤْتِى مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاَللّٰهُ وَّاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٤٧)

و هذه الاية الكريمة تتحدث عن احدى قصص بنى اسرائيل مع نبى لهم اسمه

(اشموئيل) على اشهر الاقوال، فتبدأ القصة بالحوار التالي: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أَرْبَعُونَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....) (البقرة: ٢٤٤)

و هو خطاب موجه للنبي(ع)، خلاصته : ان جماعة كبيرة من بنى اسرائيل ، طلبوا من نبيهم (اشموئيل) ان يختار لهم قائداً ليحاربوا تحت امرته عدوهم (جالوت) الذى كان يشكل خطراً كبيراً على مجتمعهم و دينهم، لكن النبي (ع)، كان يعرف ان هذا الطلب لم ينطلق من ارادة و تصميم يوازي حجم الهدف المطلوب، فقال لهم: (.. هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا) فأجابوا باستغراب: (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَتْنَا بِنَا) و بذلك اعلنوا استعدادهم الكامل للتمسك بقرارهم ، غير ان ما حدث هو صدق ما توقعة النبي من عدم جديتهم واستعدادهم لهذا الامر، حيث لما اوجب الله سبحانه عليهم القتال اتصلوا عن التزامهم، الا عدد قليل منهم و يذكر المفسرون ان عدد من بقى مع طالوت هو (٣١٣) نفر ، بعدد اصحاب بدر. و لما كان الانسان، بشكل عام، حينما يريد ان يتلمص من مسؤولية معينة يبدأ بأختلاق الاعذار، والتماس المبررات، فبدأت هذه المجموعة من بنى اسرائيل تتراجع عما كانت تطلبه بالحاح فى اول الامر، حيث لما تحقق الامر وقال لهم نبيهم: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) اعترضوا عليه بمبررات واهية، تكشف عن سقم تفكيرهم، و فساد نواياهم: (قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) و هذا الاعتراض صحيح انه موجه الى النبي (ع)، لكن فى حقيقته ، هو اعتراض على اختيار الله، وتمرد على طاعة اوامره، و لما كانت حجة الباطل واهية وزاهقة، تذرعو بأن طالوت لم تتوفر فيه الشروط

الكافية للقيادة و هما : (الوجة و الثروة) - حسب زعمهم - حيث كان طالوت رجلاً مزارعاً و فقيراً ، وبالتالي لم يكن معروفاً عند قومه، لكنّ النبيّ المسدّد من الله يضع لهم معايير واقعية للقيادة الصالحة، غير التي يتصورونها، وفق مقاساتهم الباطلة (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) ، فقد تضمن هذا الجواب الاشارة الى ثلاثة شروط اساسية توفرت في جالوت ، استكمل فيها المقومات الضرورية للقيادة و هي:

١- اصطفاؤه من قبل الله سبحانه و تعالى،

٢- انه يتمتع بقدرة علمية عالية

٣- له قوة بدنية كافية

و هذه الصفات ، في الحقيقة ، هي المؤهلات الضرورية للقيادة ، اما النسب الرفيع و الثروة الكبيرة فهي امتيازات اعتبارية لا تؤثر كثيراً في لياقات القيادة و مواصفاتها، و كلمة (بسطة) - كما يقول الشيخ مكارم الشيرازي - : (اشارة الى اتساع وجود الانسان في انوار العلم و القوة اى ان الانسان بالعلم و الحكمة و القوة الجسمية الكافية يزداد سعة في وجوده، وهنا نلاحظ ان البسطة في العلم تقدمت على القوة الجسمية ، لان الشرط الاول هو العلم و المعرفة) (الشيرازي ، ١٤٢٦ ، ٢ / ١٣٨)

و يتضح هذا الشرط بصورة اجلى في قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (النمل: ١٥)

حيث ان الله سبحانه و تعالى منح هذين النبيين العظيمين مواهب كثيرة ، الا انها لم يفتخرا بها جميعاً، بل افتخرا بصفة العلم و اعتبارها هي السبب الاساسى للتفضيل ، يقول الشيخ الشعراوي - في تفسيره لهذه الاية - : و تسأل: لقد اعطى الله داوود و سليمان (ع) نعماً كثيرة غير العلم، فقد ألان لداود الحديد، و اعطى سليمان ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده، و سخر له الريح و الجن، و علمه منطق الطير ... و مع ذلك لم يمتن عليها الا بالعلم و هو منهج

قالوا: لان العلم هو النعمة الحقيقية التى يجب ان يفرح بها المؤمن لا الملك و لا المال، و لا الدنيا كلها، فلم يعتد بشئ من هذا كله، لذلك حمد الله على ان اتاه الله العلم لانه النعمة التى يحتاج اليها كل الخلق اما الملك او الجاه او تسخير الكون لخدمته فيمكن للانسان الاستغناء عنها، ثم ينتقل الشيخ الشعراوى انتقالة لطيفة لربط مفهوم الاية بالواقع و تجسيدها فى مصداق محدد فيقول:

حينما كان ابوذر يتكلم عن المال و خطره، و الدنيا ومفاتها ، نفوه الى الربذة حتى لا يثير فتنة -حسب مايزعمون-، لكنه قبل ان يذهب مرّ بالامام على(ع) كى يتوسط له ليعفوا عنه، لكن الامام علياً - رضى الله عنه - اراد ان لا يتدخل فى هذه المسألة حتى لا يقال ان علياً سلط ابا ذر على معارضة اهل الدنيا و مهاجمتهم، فقال له: يا اباذر انك قد غضبت لله فارح من غضبت له فانّ القوم خافوك على دنياهم و ملكهم و خفتهم انت على دينك ، فاهرب بما خفتهم عليه و اترك ماخافوك عليه، فما احوجهم الى ما منعتهم و اغناك عما منعوك منه و هكذا ازال الامام هذا الاشكال و اظهر اهمية العلم و منهج الله، بحيث لا يستغنى عنه المسلم بحال من الاحوال، و لا يعيش بدونه ، و به ينال حياة اخرى رفيعة باقية، فى حين يستطيع الانسان ان يعيش بدون المال و بدون الملك) (الشعراوى، ١٩٩١، ١٧/١٠٧٥٢).

و هذه النعمة الكبيرة - نعمة العلم - ربما تتحول عند البعض الى شعور بالزهو و الغرور و الطغيان و التكبر و التعالى على الاخرين، بسبب سوء سريرتهم ، و عمى بصيرتهم) لكن هذا العلم الواسع - عند هذين النبيين - الذى امتد حتى تجاوز المألوف مما يمتلك الناس من علم و معرفه ، لم يتحول لديها الى عقدةٍ حيث انهما لم يختزنا فى شخصيتهما ما يختزنه البعض من الشعور بالعظمة و الفوقيّة ، بل كانا يعيشان شعور اهل اليقين الذين يرون كل نعمةٍ هي من الله ، فهو الواهب و هو المنعم ، و بالتالى ما تحدثنا به ، فانما يتحدثان بنعمة

ج: العلم احد الطرق الاساسية لمعرفة الحق و الايمان به

ومن الفوائد العظيمة المترتبة على العلم ، هو معرفة الحق و الايمان به ، فقد ذكر القران الكريم هذا المعنى فى اكثر من اية من اياته الشريفة، ففي قصة موسى (ع) مع سحرة فرعون يتحدث القران الكريم عن هؤلاء القوم (السحرة)، بأنهم، مع مخالفتهم لموسى(ع) و انكارهم لدعوته الا انهم لما انكشفت لهم الامور ، و اتضحت لهم الحقائق، و تبين لهم الحق، خضعوا له و امنوا به : (فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) فغضب فرعون غضباً شديداً لفعالهم هذا، لانهم افشلوا خطته، و فضحوا امره، و كشفوا زيفه، و سفهوا احلامه، فقال لهم مهدداً و متوعداً: (... دَلُّهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ^ط إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ^ط فَلَا فَطْعَمَ ^ط أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خَلْفِىْ وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ ^ط أَيُّنَا أَشَدُّ عَدَابًا وَأَبْقَى) غير انهم لم يعبأوا بهذا التهديد ، و لم يكثرثوا لهذا الوعيد، بل زادهم اصراراً على موقفهم، و ثباتاً على ايمانهم ف : لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ ^ط الْيَبِينَتِ ^ط وَالَّذِى فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ^ط إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ^ط إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ^ط وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (طه : ٧٠ - ٧٣)،

يقول الشيخ مكارم الشيرازى فى احد ابحاثه عن هذه الايات الكريمة : (ان اهم مسألة تلاحظ فى الايات - محل البحث - هى تحول السحرة السريع و العميق ، قبال موسى (ع) ، كانوا اعداء الداء الا انهم اهتزوا بشدة عند مشاهدة اول معجزة من موسى ، فأتتهبوا و غيروا مسيرهم حتى اثاروا دهشة الجميع، ان هذا التغيير السريع من الكفر الى الايمان ، و من

الانحراف الى الاستقامة ، و من الظلمة الى النور، قد جعل الجميع في دهشةٍ و حيرة، و ربما كان هذا الامر غير قابلٍ للتصديق حتى من قبل فرعون نفسه ، و لذا سعى الى ايهام الناس بأن هذا الامر قد دبر من قبل ، و اتفق عليه مسبقاً ، فى حين انه كان يعلم فى اعماقه ان هذا الاتهام باطل و كذب محض ، اذ فأى عاملٍ كان السبب وراء هذا التحول العميق و السريع ؟ و اى امرٍ اضاء قلوبهم بنور الايمان الصادق ؟ الى درجة ابدوا استعدادهم فيها لان يضعوا كل وجودهم فى خدمة هذا الموقف، بل وضعوه فعلاً على ما نقل التاريخ ، لان فرعون قد نفذ تهديده و قتلهم بطريقةٍ وحشية ! فهل تجد هنا عاملاً لهذا الموقف غير العلم و الوعي ؟ ان هؤلاء لما كانوا عالمين بفنون السحر و اسراره ، و ايقنوا بوضوح تام ان عمل موسى لم يكن سحراً ، بل هو معجزة ، غيروا مسيرهم بتلك الشجاعة و ذلك الحزم، و من هنا يتبين ان عملية التغيير، سواء فى الافراد او المجتمعات او المناهج، لا بد ان تبدأ، و قبل كل شئ ، بالتوعية و نشر العلم و ترسيخ الثقافة) (الشيرازى ، ١٤٢٦ ، ١٠ / ٢٧)

و مما يؤكد هذه الحقيقة ايضاً قوله تعالى: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سبأ : ٦)

و فى تفسير هذه الاية يذهب بعض المفسرين الى ان المقصود بالذين اوتوا العلم هم اهل الكتاب، حيث علموا من كتابهم ان ما انزل على الرسول (ص)، هو الحق غير ان اغلب المفسرين يجدون ان معنى الاية اوسع و اكبر مما ورد (حيث يشمل كل عامل منصف فى كل زمان و مكان، و المراد بالذى انزل اليك هو القران و المعنى: ان اى عالم يدرس القران دراسة صحيحة ، لا بد ان ينتهى الى انه حق من عند الله، لانه يهدى للتي هى اقوم فى عقيدته و شريعته، و جميع تعاليمه (مغنية، ١٩٩٠، ٦ / ٢٤٨)

- اقامة الحجة -

و تأسيساً على هذا المنهج ، نجد ان القران الكريم لا يطرح قضية الا واورد معها

الدليل، ففى قضية التوحيد يقرر القران الكريم الحقيقة التالية :

وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (البقرة : ١٦٣) ثم يشرع مباشرة بالاستدلال عليها: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة : ١٦٤)

وفى مسألة صدق القران و انه كتاب نزل من عند الله تاتي ادلته بمنتهى الدقة والاتقان:

(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء : ٨٢)

(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا آدْرَأْتُمْ بِهِمْ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (يونس: ١٥ - ١٦)

و فى معرض المقارنة بين احكام الله وغيرها، يستعرض القران الكريم مجموعة من الاحكام الشرعيّة - فى سورة المائدة من الاية (٤٢-٤٩) - ولما كانت هذه الاحكام تتوافق مع مقتضيات العقل و الفطرة السليمة ، يحتج القران على المخالفين لاحكام الله بالسؤال الاستنكارى التالى:

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾) (المائدة: ٥٠)

و فى الحديث عن قضية الشرك و المشركين، وافتقارهم الى البيّنة ، تاتى ادلة القران بمنتهى الدقة و الوضوح حيث يقول : (فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَبْشُرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

هُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ (الاعراف: ١٩٠ - ١٩٥)

و في سورة يونس: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس : ٣٤ - ٣٥) و في الحديث عن المعاد و امكانه، يستعرض القران قول المنكرين له: (وَقَالُوا أَاءِذَا كُنَّا عِظْمًا وُرْفِنًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) (الاسراء : ٤٩)، فياتي الجواب بمنتهى التحدى: (* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) (الاسراء: ٥١)

و في مجال المحاججة مع الاخر يكون المبدأ في الرفض او القبول مبتنياً على البرهان و الحجة و الدليل ، كما في قوله تعالى:

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة : ١١١)

و قوله تعالى:

أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أءَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). (النمل : ٦٤)

و القرآن الكريم حينما يطالب بالدليل و هو يحاكم الخصم - كما يقول الباحث الاسلامى غالب حسن - لا يريد ان يسجل نقطة التضاد ، او يهدف الى فتح حرب سجالية معهم ، و انما ينطلق من نداء الحق فى عالم الفكر ، ، ونظرة بسيطة الى الايات القرانية تكشف عن مبدأ قرانى فريد و هو ان مبدأ القبول و الرفض فى العقيدة هو البرهان، ولذا نجد فى الايتين تعليق الصدق فى الدعوى على حضور البرهان، و صيغة القرآن هنا ليست تحدياً ، بقدر ما هى حوار حول فكرة ، بل هى تأسيس لقاعدة فى هذا المجال (حسن، ١٤٢١ ، ٦٥) و هكذا نجد القرآن الكريم يتمسك بالدليل فى كل ما يأمر به او ينهى عنه ، و لم يطلب الادعان او التسليم الى اوامره دون حجة او بيّنة.

رفض الاتباع و التقليد الاعمى

و انطلاقاً من هذا المنهج فقد انكر القرآن الكريم جميع الممارسات التى لا تركز على حجة او دليل، كظاهرة الاتباع و التقليد الاعمى، وهذه الظاهرة تمثلت فى نودجين اساسيين فى القرآن الاول : و هم الناس الذين حرّموا نعمة التفكير و استساغوا الحياة الرتيبة ، و استمروا حياة الاتباع و التقليد و هذه طائفة من الايات التى تتعرض الى هذا النموذج من البشر:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

ءِآبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (المائدة : ١٠٤)

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُهَا عَرَافِينَ ﴿٧٥﴾

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا

ءِآبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (الشعراء : ٧٠ ، ٧٤)

يقول السيد فضل الله: (وهذا نموذج من نماذج الناس الذين يتبعون خطوات الشيطان في منهج التفكير و في طبيعة الفكرة فانهم لا ينطلقون في ما يعتقدون و في ما يتبعون من نهج في الحياة ، من موقع القناعة المرتكزة على اساس البحث و التأمل و التفكير بل يتحركون من عاطفة ساذجة و عصبية ذاتية تدفع الانسان الى تقديس الماضي الذي ينتسب اليه في عاداته و تقاليده و افكاره و مقدساته مما يجعل في ذلك اساساً للقناعة الفكرية و السلوك العملي في ما يتفق معه و للرفض الفكري و العملي فيما يختلف عنه بالمستوى الذي لا يقبل فيه الدخول في اى حوار او نقاش ، حول تلك القضايا ، كما لو كانت من البديهيات و المسلمات الفكرية) (فضل الله : ١٤١٩ ، ٣ / ١٧٠)

الثانى : هم المتنفذون و اصحاب المصالح السياسية و الاقتصادية

و هذه الفئة لا تتشبث بالتقليد و الاتباع حبا به او جهلاً بمحتواه السئ ، بل تتمسك به لتأمين مصالحها و تبرير سيطرتها و هيمنتها على الواقع و استمرار سلطتها عليه : وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأَثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ أُولُو جِنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٣﴾ (الزخرف : ٢٣ - ٢٤)

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّآ وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا خُنُّ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (يونس: ٧٥)

ان فرعون يدرك ان الاتباع و التقليد الاعمى امر قبيح و سنة بالية، لكنه يتشبث بها باعتبارها احدى الوسائل لخداع المجتمع و تبرير سيطرته عليه.

و خلاصة القول فى هذا المجال : ان موضوع العلم من المواضيع التى اعتبرها القرآن الكريم منطلقاً لتكامل الانسان على الاصعدة كافة ، فكرياً ، و روحياً ، و مادياً ، وجعلها قيمةً عليا ، يتميز على اساسها الناس ، و تتحدد منزلتهم فى الوجود ، و من هنا كان العلم سمة من سمات القرآن الاساسية : (فالقران منذ اللحظة الاولى لانطلاقته ، و انطلاقاً من الكلمة الاولى له ، يتسم بسمه العلم ، و لقد توالى بعد ذلك الايات موضحة و مؤكدة لهذه السمة و جاعلة منها طابعاً و شعاراً ، و لقد امر الله سبحانه و تعالى المعلم الاكمل ، و الرسول الاعظم ، بان يدعو ربه ليزيده علماً ، و ذلك بقوله: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طه : ١١٤) و هذا الدعاء الذى يأمر الله تعالى رسوله بأن يتوجه الى ربه و يطلب منه العلم ، انما هو من ارواح الامثلة فى التربية ، و ذلك لانه صادر من فم رسول الله (ص) الانسان الكامل ، و سيد المرسلين ، و هو يستيقظ احياناً للأمة بأن الانسان مهما بلغت به المنزلة يبقى بحاجة الى الاستزادة من العلم ، فاذا كان اكمل الخلق ، رسول الله ، يطلب من ربه ان يزيده علماً ، فما بالك بأفراد الامة ، و عموم الناس) (طه ، ١٤٢١ ، ١٥٤)

النتائج :

الى هنا اتضح مايلى :

١- ان القرآن الكريم اكد كثيراً على اهمية البناء الفكرى للانسان ، و اعتبره الحياة التى تمدّه بالطاقة والحركة والنشاط ، والنور الذى يضى له الطريق ، و يكشف له الحقائق ، و يميز له بين الحقّ والباطل ، و بالتالى جعله الاساس والمنطلق لسعادته فى الدنيا والاخرة ، و من دونه يفقد الانسان قيمته و دوره فى الحياة ، و بالتالى يعيش الضياع والضلال والخسران .

٢- ان من اهم الاسس التى يجب ان يبتنى عليها الفكر هى :

أ- الفطرة : بمعنى ان تكون الاصول الفكرية التى يعتمدها الانسان متوافقة و منسجمة

مع مقتضيات الفطرة و لا تتقاطع او تتعارض معها

ب - العلم : و هو ان تكون هذه الاصول الفكرية مبنيةً على العلم اليقيني ، الذى يجعل من الانسان واثقاً بعقيدته ، مؤمناً بأهدافه ، و ثابتاً فى مسيرته .
وبهذا يتبين الدور الكبير الذى اولاه القران الكريم للعلم ، سواء فى مجال بناء العقيدة و الفكر، اوفى مجال التطبيق و العمل ،.نسأل الله سبحانه و تعالى ان يهدينا الى اختيار الطريق الصالح ، و العلم النافع ، و يمنحنا القلب الواعى و البصيرة الثاقبة ، أنه سميع مجيب الدعاء

المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- نهج البلاغة
- ٣- ابن منظور ، لسان العرب ، دار احياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت
- ٤- جوادى آملی ، عبدالله ، معارف القرآن من خلال الحواميم السبع ، دار الصفوة ، ط ١ ، ١٤١٥هـ بيروت
- ٥- جوادى آملی ، عبدالله ، العقيدة من خلال الفطرة فى القرآن ، دار الصفوة ، ط ١ ، ١٤١٥ ، بيروت
- ٦- التهاونى ، محمد على ، اصطلاحات الفنون و العلوم ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٩ م بيروت
- ٧- حسن ، غالب ، نظرية العلم فى القرآن ، دار الهادى ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ
- ٨- قطب ، سيد ، فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ ، بيروت
- ٩- السبحانى ، جعفر ، مفاهيم القرآن ، مؤسسة الامام الصادق (ع) ، ط ٤ ، ١٤٢٧ هـ
- ١٠- السيزوارى ، السيد عبد الاعلى ، مواهب الرحمن ، انتشارات دار التفسير ، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ
- ١١- الشيرازى ، مكارم ، نفحات القرآن ، مؤسسة ابى صالح للنشر
- ١٢- الشيرازى ، مكارم ، التفسير الامثل ، الاميرة ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ ، بيروت
- ١٣- الشعراوى ، محمد متولى ، تفسير الشعراوى ، اخبار اليوم ، ١٩٩١ م
- ١٤- الصدر، محمدباقر، الفتاوى الواضحة، دارالتعارف للمطبوعات، ١٤١٠، بيروت
- ١٥- الطباطبائى ، محمد حسين ، تفسير الميزان ، مؤسسة اسماعيليان ، ط ٥ ، ١٤١٢ هـ
- ١٦- الطريحي ، فخر الدين ، مجمع البحرين ، ط ١ ، مؤسسة البعثة ، ١٤١٦ هـ
- ١٧- طه ، على حسين ، فى رحاب سورة العلق ، دارع الهادى ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، بيروت
- ١٨- عبدالباقي، محمد، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، دار الفكر و المعرفة، ط ٤ ، ١٤١٤ هـ ، بيروت
- ١٩- العلوانى ، د. طه جابر ، فلسفة الدين و الكلام الجديد ، نحو منهجية معرفية قرآنية ، دار الهادى ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ
- ٢٠- فضل الله ، محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن ، دار الملك ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ ، بيروت
- ٢١- الكيلانى ، د ماجد ، فلسفة التربية الاسلامية ، دار القلم ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ ، بيروت
- ٢٢- لجنة التأليف ، الفكر السلامى ، مؤسسة البلاغ ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٢٣- المجلسى ، محمد باقر ، بحار الانوار ، داراحياء التراث العربى ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٤- المصباح ، محمد تقى ، معارف القرآن ، الدار الاسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ ، لبنان
- ٢٥- المظفر ، محمدرضا ، عقائد الامامية ، دار الصفوة ، ط ٩ ، ١٤١٣ هـ
- ٢٦- المظفر ، محمد رضا ، المنطق ، دار التعارف ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ .
- ٢٧- مغنية ، محمد جواد ، تفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، بيروت .
- ٢٨- اليوسف ، عبدالله ، فلسفة الفكر الاسلامى ، مؤسسة البلاغ ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ، لبنان .